﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ٤٢﴾ [القصص: 42]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

عاقبةُ الضَّلالِ والإضلالِ لعنةٌ في الدُّنيا، وتقبيحٌ في الأُخرى

لمّا أخبرَ تعالى عن كونِ فرعونَ وجنودِه أئمَّةً في الضَّلالِ والإضلالِ؛ أخبرَ عن نتيجةِ ذلكَ وثمرتِه، فقالَ: ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾[1]، فكان جزاؤهم خِزيًا لاحِقًا، وطردًا من رحمة الله سابقًا، ولعنًا في الدُّنيا ماحِقًا، مع ما يتبع ذلك من لعنة القيامة وخِزي الحياة الأبديَّة، ومقتضياتها من الهلاكِ والنَّدامة[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَعۡنَةٗۖ﴾: (لعن) أصلٌ يدلُّ على إبعادٍ وطَرْدٍ[3]، واللَّعْنُ: الطَّردُ والإبعادُ على سبيلِ السُّخْطِ، ورجل لُعَنَة؛ إذا كان يُكثر لَعْنَ النّاس، ورجلٌ لُعْنَة؛ إذا كان النّاس يلعنونه لشرارته، والأوَّل فاعل والثّاني مفعول، وكانت العرب تحيّي ملوكها في الجاهليَّة، بأن تقولَ للملِك: أبيتَ اللَّعن، ومعناه: أبيت أيُّها الملك أن تأتي أمرًا تُلعَن عليه[4]، وأثَرُ لَعنَةِ الله في الآخرةِ العقابُ الأليم، وفي الدُّنيا انقطاعٌ مِنْ قبولِ رحمتِه وتوفيقِه، واللَّعْنُ مِنَ الإنسانِ دعاءٌ على غيرِه بلعنةِ الله، وقولُ الله تعالى: ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ﴾، أي: طَرْدًا مِنَ الرَّحمةِ[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 299.
(2) أسعد حومد، أيسر التّفاسير، ص: 3176.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لعن).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (لعن).
(5) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 20/ 59.

2) ﴿ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾: (قبح) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خلاف الحُسْن، وهو القُبْح، يقال: قبَّحه الله، وهذا مقبوح وقبيح، وزعم ناس أنَّ المعنى في (قبَّحه): نحّاه وأبعده[1]، والقبيحُ: ما ينبو عنهُ البصرُ مِنَ الأعيانِ، وما تنبو عنهُ النَّفسُ مِنَ الأعمالِ والأحوالِ، وقولُهُ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾، قيلَ: مِنَ الموسومينَ بحالةٍ منْكَرةٍ، وذلكَ إشارةٌ إلى ما وصفَ اللّهُ بهِ الكفّارَ مِنَ النَّجاسةِ إلى غيرِ ذلكَ مِنَ الصِّفاتِ، وما وصفَهم بهِ يومَ القيامةِ مِنْ سوادِ الوجوهِ، وزُرْقَةِ العيونِ، وسَحْبِهم بالأغلالِ والسَّلاسلِ، ونحوِ ذلكَ[2]، وقيلَ: مِنَ المُبعَدينَ؛ إذ يقالُ: قَبَحَهُ اللّهُ عن الخيرِ، أي: نحّاهُ[3]، وقيلَ: مِنَ المُهلَكينَ المَمْقوتينَ[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تؤكِّد الآيةُ أنَّ اللّه تعالى سلَّط على فرعونَ وقومه في هذهِ الدُّنيا خِزْيًا ولعنةً منه عليهم، حيث حكَمَ عليهم بالهلاكِ والبَوارِ والذِّكرِ السيِّئِ عند اللّه وعند المؤمنين، ثمَّ هم يومَ القيامةِ ماكثون في عذابٍ مهين، تنبو الأبصارُ والعقولُ عن مشاهدتِه ورؤيَةِ آثارِه[5].

الحكم على فرعون وقومه بالخِزْي في الدُّنيا، والقُبح في الآخرة

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ إسنادِ الإتباعِ إلى ضميرِ العظَمةِ:

أُسنِدَ الإتباعُ في قولِ اللّهِ عزَّ شأنُهُ: ﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ إلى نونِ العظَمةِ لتفخيمِ شأنِ هذا الإتباعِ، بكونِهِ صادرًا مِنْ ذي العظَمةِ والجلالِ[6]، وعقابُ العظيمِ عظيمٌ، وما أشدَّ خسارةَ مَنْ باءَ بلعنِ اللّهِ وسَخَطِه!.

إتباعُهم اللَّعنةَ أمرٌ عظيمٌ الشّان، موصولٌ بالهوان

(1) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة: (قبح).
(2) الرّاغب، المفردات: (قبح).
(3) الخليل، العين: (قبح).
(4) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 290.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 583.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 299.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالإتباعِ:

في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ﴾ استعارةٌ لطيفةٌ، وذلكَ أنَّ إتباعَهم اللَّعنةَ في الدُّنيا هو جعلُ اللَّعنةِ مُلازِمةً لهُم في علمِ اللهِ تعالى، فقدَّرَ لهُم هلاكًا لا رحمةَ فيهِ، فعبَّرَ عن تلكَ الملازمةِ بالإتباعِ على وجهِ الاستعارةِ؛ لأنَّ التّابعَ لا يُفارِقُ متبوعَهُ، وكانَتْ عاقبةُ تلكَ اللَّعنةِ إلقاءَهم في اليمِّ[1].

اللَّعنةُ كانت ملازِمَةً لهم، لا تفارِقُهم أينَما ذهبوا، حتى ألْقَتْهم في اليمِّ

نكتةُ التَّعبيرِ بالماضي ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ﴾:

جيءَ بفعلِ الإتباعِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ﴾ بصيغةِ الماضي؛ لأنَّ اللَّعنةَ في الدُّنيا قد انتهَى أمرُها بإغراقِهم، أو لأنَّ لعْنَ المؤمنينَ إيّاهم في الدُّنيا يكونُ في أحيانٍ يذكرونَهم فيها، فكلا الاحتمالينِ لا يقتضي الدَّوامَ[2].

اللَّعنةُ الدنيويَّةُ قد تحقَّقت بهم، ثم صاروا إلى الهوان الدّائم

دلالةُ اسمِ الإشارةِ ﴿هَٰذِهِ﴾:

جيءَ باسمِ الإشارةِ للقريبِ في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ﴾؛ لتهوينِ أمرِ الدُّنيا بالنِّسبةِ للآخرةِ[3]، وتحقيرِ أمرِها، وبيانِ أنَّها لا تُساوي في ميزانِ اللهِ تعالى شيئًا، فلا تستحِقُّ أن يُستَعلى فيها، ولا أن يُسعى في جمعِ حُطامِها.

تهوينُ أمرِ الدُّنيا، وتحقيرُها بالنِّسبة للآخرة

سرُّ اختيارِ لفظِ ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ دون (الحياةِ):

عُبِّرَ بلفظِ ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ في قولِ الحقِّ تعالى: ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ﴾، ولم يقل: (في هذه الحياةِ)؛ لأنَّ السّياقَ لتحقيرِ أمرِهم فيها، وبيانِ دناءةِ شأنِهم[4]، ولفظُ ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ بحسَبِ معناهُ اللُّغويِّ يناسبُ ذلكَ.

تحقيرُ شأنِ الحياةِ الدُّنيا، وما صاروا إليه فيها

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 127.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 127.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 127.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 299.

نكتةُ تنكيرِ ﴿لَعۡنَةٗ﴾:

لـعـنـةٌ فـرعـونَ وجُنودِهِ عظيمةُ الشَّأنِ

تنكيرُ ﴿لَعۡنَةٗ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ﴾؛ للإفرادِ، أي: وأتبَعْناهم فردًا مِنْ أفرادِ اللَّعنةِ، ويحتملُ أنْ يكونَ التَّنكيرُ للتَّعظيمِ، أي: وأتبَعْناهم لعنةً عظيمةَ الشَّأنِ؛ لشدَّةِ ما لَحِقَهم مِنَ العذابِ والنَّكالِ واللَّعنِ على ألسنةِ اللّاعنينَ.

علَّةُ تقديمِ ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾:

العنايةُ بكونِ تقبيحِهم حاصلًا يومَ القيامةِ

قُدِّمَ الظَّرفُ: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ على المبتدأ والخبرِ: ﴿هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾، ولم يقل: (وهم مِنَ المقبوحينَ يومَ القيامةِ) - للعنايةِ بكونِ تقبيحِهم واقعًا في يومِ الأهوالِ والأفزاعِ، وفي ذلكَ إدخالٌ للرَّوْعِ والمَهابةِ في النُّفوسِ، يضافُ إلى ذلكَ أنَّ في تأخيرِ ﴿هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾ مراعاةً لملاءمةِ الفاصلةِ لِما قبلَها، و﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ إمّا متعلِّقٌ بـ﴿ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾ على أنَّ اللّامَ للتَّعريفِ لا بمعنى الَّذي، أو متعلِّقٌ بمحذوفٍ يُفسِّره ذلك، كأنَّه قيل: (وقُبِّحوا يوم القيامة)[1].

دلالةُ ﴿مِّنَ﴾:

فرعونُ وجُنودُهُ مُنخرطونَ في زُمْرةِ المقبوحينَ يومَ المعادِ

حرفُ الجرِّ ﴿مِّنَ﴾ في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾ للتَّبعيضِ[2]، والمعنى: (وهم بعضُ المقبوحينَ وجزءٌ منهُم، ومُنتظِمونَ في سِلْكِهم)؛ وذلك لأنَّهم مِنَ المطرودينَ المُبعَدينَ، وقيل: مِنَ الموسومين بعلامةٍ منكرةٍ كزرقةِ العُيون وسوادِ الوجهِ، وقيل مِنَ المقبوحين من المُهلكينَ[3].

سرُّ التَّعبيرِ باسمِ المفعولِ ﴿ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾:

فرعونُ وجُنودُهُ مِـنَ الـزُّمْـرةِ الموسومةِ بالقُبْحِ

قولُ اللهِ ﷻ: ﴿مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾ في الآيةِ: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 15.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 196.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 15.

﴿ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾ أبلغُ مِنْ (يُقبَحونَ)، فإنَّ التَّعريفَ في ﴿ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾ تعريفُ الجنسِ، فإخبارُ اللهِ عنهُم أنَّهم مِنَ المقبوحينَ يفيدُ أنَّهم مِنَ الفئةِ الَّتي تُعرَفُ عندَ النّاسِ بفئةِ المقبوحينَ[1]، فيفيدُ الكلامُ افتضاحَ أمرِهم، واشتهارَهم بهذا الوصفِ القبيحِ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالجملةِ الاسميَّةِ:

تقبيحُ حالِ فرعونَ وجنودِه يومَ القيامةِ دائمٌ معَهم، ملازمٌ لهُم، ولذلكَ جيءَ في جانبِهِ بالجملةِ الاسميَّةِ المُقتضيةِ دوامَ التَّقبيحِ وثباتَهُ لهُم يومَ القيامةِ، فقالَ تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾[2].

دوامُ تقبيحِهم يومَ القيامةِ دلالةٌ على السَّخط بارزة

(1) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 75، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 291.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 127.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»